March 2020
Vol 2 Issue 1

Imam Jabir Bin Zaid And His Role In Establishing The Ibadi Doctrine

Dr. Sadina Ali Saleh Krebat
Krebat @yahoo.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000- 0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10614077 10, PP 32-86-109.

Abstract: Imam Jabir bin Zaid is considered one of the Muslim scholars knowledgeable about the Qur'an and Sunnah, and he held a prominent position among the major imams among the followers. He is also considered the true founder of Ibadi thought and doctrine, and one of the most prominent scholars of the second half of the first century AH. Imam Jabir bin Zaid was indeed the person who crystallized Ibadhi thought to the point that it became distinct from other Islamic sects. Ibn Ibad was responsible for the call and preachers in various countries, as he gained the trust of his peers for his knowledge and religion, so they would not issue anything except after consulting him. The attribution of the doctrine to Abdullah Ibn Ibad is an accidental ascription caused by some of the verbal and political stances for which Abdullah Ibn Ibad became famous and distinguished, so Ibadism was attributed to him by the Umayyads, so Ibn Ibad was considered the public face of the group and their official spokesman.

Keywords: Jabir, the sect, Ibadi.

الإمام جابر بن زيد ودوره في تأسيس المذهب الإباضي

الملخص: يعتبر الامام جابر بن زيد من علماء المسلمين العارفين بالقرآن والسنة وكان يمثل مكانة مرموقة بين الأئمة الكبار من التابعين. كما يعتبر المؤسس الحقيقي للفكر والمذهب الإباضي، وهو من أبرز علماء النصف الثاني من القرن الأول الهجري. فالإمام جابر بن زيد كان بالفعل هو الشخص الذي بلور الفكر الاباضي بحيث اصبح متميزاً عن

غيره من المذاهب الاسلامية وكان ابن اباض المسئول عن الدعوة والدعاة في شتى الاقطار حيث اكتسب ثقة اقرانه لعلمه ودينه فكانوا لا يصدرون في شيء إلا بعد مشورته. وأن نسبة المذهب إلى عبد الله ابن إباض فهي نسبة عرضية سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التي أشتهر بها عبد الله ابن إباض وتميز بها فنسبت الاباضية إليه من قبل الامويين فاعتبر ابن إباض الواجهة العلنية للجماعة والناطق الرسمي لهم.

الكلمات المفتاحية: جابر، المذهب، الاباضي.

المقدمة

تميز القرن الهجري الاول، بظهور البواكير الاولى للتيارات السياسية في العالم الاسلامي. وقد أولى الباحثون المحدقون أهمية كبيرة في دراستهم للفرق والاحزاب، التي مثلت القوى السياسية الدينية في عهد الدولة الأموية. إلا أن الاهتمام برواد هذه الحركات كان قليلاً على مستوى الدراسات العلمية الجامعية وبالأخص في ليبيا، وقد ركز البحث العلمي على دعوات سرية، مثل الدعوة العباسية التي انتهت بقيام دولة العباسيين، وأهمل الباحثون دراسة دعوة سرية معاصرة لها هي الاباضية، وزعمائها مثل جابر بن زيد، حيث كانت هذه الحركة(الاباضية) ضمن التيار المعارض للسلطة الاموية، وكان هدفها يتمحور حول إقامة كيان بديل للسلطة القائمة، ضمن إطار الاسلام، ليس للتشدد فيه مجال([1]).

وقد كان رائد هذه الحركة ومؤسسها هو الامام جابر بن زيد الأزدي التابعي المشهور، الذي سار على خط المحكمة المعتدل، ممثلاً بأبي بلال مرداس ابن أبية التميمي، حيث تميز هذا الامام بقدرة سياسية وإدارية، مكنته من إنشاء حركة سياسية دينية معتدلة في أراءها وعقيدتها. ورغم الدور الذي قام به الامام جابر بن زيد في تأسيس المذهب الاباضي، إلا أنه لم يلق اهتماماً من الباحثين كمفكر، وسياسي، وربما يعود ذلك إلى أن معظم الدراسات كانت تهتم بدراسة الشخصيات البارزة، وهذا لم يتوفر في شخصية الامام جابر بن زيد، لطبيعة شخصيته الهادئة المتكتمة، حيث إنه اتصف في أعماله بالسرية، بل أنه المرسخ لهذا المنهج في المذهب الاباضي بحيث شكل الكتمان مسلكاً

[1] فاروق عمر فوزي: الامامة في عمُمان، جامعة آل البيت عمان، ١٩٧٩م، ص٣.

من مسالك الدين(أي مرحلة من مراحل الامامة عند الاباضية)([2]).

أما **الهدف من وراء هذا البحث** هو إلقاء الضوء على شخصية جابر بن زيد ودوره الفكري والسياسي في بلورة المذهب الاباضي. ومعرفة المنهج الذي سلكة لنشر دعوته في فترة كانت البصرة في أيدي ولاة الأمويين.

في حين أن **أهمية البحث** تكمن توضيح الاسباب التي أدت نسبة الاباضية لعبد الله بن إباض وليس إلى جابر بن زيد بالرغم من انهم يعتبرون (الاباضية) هذا الاخير المؤسس الحقيقي للمذهب. وبيان دور جابر بن زيد وتلاميذته في العناية ينشر المذهب الاباضي وإقامة كيان بدليل للسلطة القائمة آنذاك.

فجابر بن زيد إذاً هو أس المذهب وأساسه وركنه، وهو إمامه، والاباضية لم يُنسَبوا إلى جابر بن زيد والاباضية لم ينسبوا انفسهم إلى جابر بن زيد كما أنهم لم ينسبوا انفسهم لعبد الله بن إباض وكلاهما رجل عالم، والاعلم هو جابر بن زيد فمن هو جابر بن زيد؟ وما علاقته بالقعدة؟ وكيف اتصل بالاباضية حتى أصبح مؤسساً لها؟ وما المسلك الذي انتهجه في تضليل عيون السلطة الاموية من معرفة كونه مؤسساً لهذا المذهب؟ وكيف رسم لأهل الدعوة منهجاً سرياً يضمن لهم بث أفكارهم مع إمكانية الافلات من مراصد السلطة ومراقبتها؟ كانت هذه **الإشكالية** التي حاول البحث الاجابة عنها.

أما **مشكلة البحث** فتتمثل في **السؤال التالي** وهو: مدام جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقي للمذهب الاباضي فلماذا سمي المذهب باسم عبد الله بن إباض؟ !!. وما العلاقة بين الاباضية مذهباً وعبد الله بن اباض؟ ولماذا لا نلاحظ آثاره العقائدية والفقهية في مؤلفات الاباضية؟

أما **البحث** فقد جاء في **ثلاثة مباحث** مسبوقة بمقدمة ومتبوعة بخاتمة وبقائمة من المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بالإمام جابر بن زيد.

المبحث الثاني: دور الامام جابر بن زيد في وضع أسس الفكر الاباضي سياسياً وعقائدياً.

[2] عدون جهلان: الفكر السياسي عند الاباضية، مكتبة الضامري،ط٣، ٢٠١٠م، ص١٦٤.

المبحث الثالث: نهاية الامام جابر بن زيد (نفيه ووفاته).

المبحث الأول: التعريف بالإمام جابر بن زيد

١. أسمه ونسبه وكنيته: هو: الإمام الجليل التابعي جابر بن زيد الأزدي الجوفي(٣) البصري من قبيلة اليحمد الأزدية(٤). وقد أختلف المؤرخون في نسبة الجوفي هل هي إلي (جوف الخميلة) التي تقع في فرق حيث ولد، أم إلى (درب الجوف) التي في البصرة، فذهب جملة من المؤرخين إلى أن جابر ابن زيد عرف بالجوفي نسبة إلى درب الجوف في البصرة حيث أستقر مع أسرته بعد ذلك(٥)، وفريق أخر يرى أن الإمام جابر هو الجوفي نسبة إلى مولده وهذا ما راه الشيخ أحمد الخليلي حيث قال: أن الإمام جابر بن زيد ولد بمنطقة الجوف وهي بداخلية عُمان، ويطلق اسم الجوف على المنطقة التي تقع ما بين فرق إلى بهلا كلها وإلى عهد قريب كانت تسمى أرض الجوف، وأيده في ذلك الشيخ العلامة سالم الحارثي(٦).

فمن هذا السياق يمكن القول أن الإمام جابر بن زيد ينتسب إلى الجوف بمدينة فرق ولما انتقل هو وأسرته إلى البصرة أطلق على الموضع الذي نزلوا به اسم الجوف نسبة الى الجوف في عُمان. أما بالنسبة لكنيته فيكنى الإمام جابر بن زيد بأبي الشعثاء(٧)، نسبة إلى ابنته الكبرى، فالعرب قديماً وحديثاً يفتخرون بهذه الكنى التي تدل على مدى العلاقة بين الآباء والأولاد.

وينتسب الإمام جابر بن زيد إلى أصل عربي فهو من ولد عمرو بن اليحمد الأزدي التي تنتسب إلى قبيلة الأزد العمانية(٨).

٢. ولادته ونشأته: تذكر كتب السير أن مولد الإمام جابر بن زيد كان فيما بين عامي(١٨ . ٢٢هـ) فلم تجمع المصادر التاريخية على تحديد سنة معينة لمولده، وإنما ذكرت

---

[٣] ـ الجوفي: نسبة إلى درب الجوف في البصرة

[٤] ـ قبيلة اليحمد الأزدية: من قبائل عُمان الكبيرة، وقد انتقل جابر مع أسرته من الفرق بعُمان إلى درب الجوف بالبصرة، وكانت البصرة في الوقت ذاك من أهم مراكز العلم والمعرفة في الدولة الإسلامية.

[٥] ـ عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ط١، عُمان، ٢٠٠٢م، ص٨٦.

[٦] ـ سالم الحارثي : العقود الفضية، مطبعة إبراء، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٩٤،٩٣.

[٧] ـ الشعثاء هي ابنته وكان يكنى بها لذا ورد اسمه بهذه الكنية في الكثير من المصادر منها: أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج٢، تحقيق: ابراهيم طلالي، ص٢٠٦.، والحارثي: العقود الفضية، ص٩٤، وقبرها ما يزال معروفاً في بلدة "فرق" بولاية نزوى بعُمان.

[٨] ـ يراجع: هاني سليمان الطعيمات: الإباضية مذهب لا دين ، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٣، و١٤.

تواريـخ عدة تتراوح بين التاريخين المذكورين ولكن الإباضية يرجحون بأن مولد جابر بن زيد كان لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب.

وقد نشأ جابر بن زيد في عُمان، غير أن المصادر لا تذكر عن حياة جابر بن زيد الأولى في عُمان إلا الشي اليسير، ولعل السبب وراء عدم وجود معلومات عن نشأته الأولى هو أن علماء الإباضية لم يكونوا يوثقون كثيراً تواريـخ سنوات ميلاد ووفاة الأشخاص إلا بقدر الحاجة الضرورية لذلك.

ولكن حسب اجتهادنا فأننا نجد بعض المراجع الحديثة بناءً على ما استخلتصه من بعض المصادر تقول أن جابر بن زيد عاش حياة بسيطة في بلدته، وشارك أهله في العمل بالزراعة حتى فترة صباه، واطلع على بعض المعارف الدينية البسيطة التي كانت متوفرة في بلدته، واستندوا على أن رحلته التي كانت إلى البصرة من أجل العلم والبحث والدراسة(٩) وأنه كان يستكمل مشواره العلمي من البصرة حينما انطلق إليها مع رفاقه.

ومن المعروف عن جابر بن زيد . كما سيتضح ذلك من سيرة حياته فيما بعد . أنه كان فظاً شديد الذكاء وقاد البصيرة واسع الأفق.. وهذا يدعوا إلى القول بأنه لابد وأن يكون قد حصل في هذه الفترة من حياته جانباً كبيراً ومن العلوم الدينية. وإلا فما الذي يدعوه إلى أن يغادر بلده إلى البصرة وسواها ولم يكن في بلده يشكو فاقة أو يقاسي شظف عيشه؟ لم يكن دافعه إلى ذلك سوى الشوق للمعرفة، والرغبة الصادقة في التبحر في العلم والتزود بكل المعارف التي تصلح بها أمور دينه ودنياه. وكان أول نزوحه إلى البصرة، حيث اتخذها له دار مقام وشاركه فيها من بعد بعض أهله ، ومن البصرة مضى إلى الحجاز لنفس الغاية وظل لفترة طويلة يتردد ما بين البصرة والحجاز([١٠]).

وباتخاذ جابر البصرة مقاماً له تلقى الكثير من المعارف وخاصة فيما يتعلق منها بعلوم القرآن والحديث وما يتصل بهما وحفظ القرآن كله قبل أن يتهيأ للرحلة إلى الحجاز ولم يكتف الإمام جابر بالدراسة في (البصرة) بل اتخذها مقراً له ينشر فيها العلم ويوالي التدريس والتأليف ويهتم بشؤون المسلمين حيث كانت قضية الخلافة من القضايا التي

٩ ـ صالح بن أحمد الصوافي: جابر بن زيد الأزدي العماني وأثره في الدعوة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط٣، ١٩٩٧م.ص٣٤.

[١٠] ـ الصوافي: جابر بن زيد وآثاره في الدعوة، ص٣٥.

مرت عليه ودرسها دراسة مستفيضة عميقة انتهي منها إلى رأي ثابت مبني على روح العدالة في القرآن ومستمد من القرآن ومستند إلى سيرة السلف من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم([11]).

أخذ جابر بن زيد علمه عن كثير من الصحابة أهمهم ابن عباس والسيدة عائشة التي كان يسألها عن مسائل في الدين، وهذا ما قوى علاقته بالحجاز في آخر حياته، حيث اصبحت رحلاته إلى هناك سنوية بالرغم من المضايقات التي تعرض لها من قبل السلطة الأموية([12]).

ثم إن جابر بن زيد شد على نفسه بالعزيمة وحملها على ملازمة عدد من الصحابة ليأخذ منهم ما حفظوه من حديث وما عرفوه من الشريعة. وأزداد شغفاً بالمزيد من العلوم لتحقيق ما تصبوا إليه نفسه من مواصلة طريقه لاكتساب العلم، وبعد أن نهل جابر من كبار الصحابة واغترف من نبعهم الغزير الشي الكثير من العلوم الدينية وأهمها التفسير والحديث والفقه، انتقل في حياته من الأخذ إلى العطاء ومن التعلم إلى التعليم، انتقل من طالب إلى شيخ لينشر العلم ويبث الهدي إلى الناس ويرفع اواء الحق لإعلاء كلمة الله، وأصبح إماماً للمسلمين يتصدر مجالسهم، ويفتئ السائلين، كما أهلته معرفته العلمية لأن يصبح معلماً يفيض بالعلم بغزارة ومرجعاً لكثير من العلماء والعامة التي عاصرهم، فكان ينشر العلم في المساجد والمجامع ويدعو سراً وعلناً إلى ضرورة محافظة الأمة الاسلامية على شريعة الله متمثلاً في قوله تعالت(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)([13]).

والتفت حوله الطلاب ينهلون من معينه، ولم يكن يبخل عليهم بعلم ولا بتوجيه، وتتلمذ علي يديه خلق كثير سواء من التابعين أو تابعي التابعين وكان من أشهر تلاميذه هم : أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب وأبو نوح صالح الدهان وجعفر بن السماك وقتادة وعمرو بن دينار ويعلى بن مسلم وأيوب السختياني وأمية بن زيد الأزدي

[11] ـ علي يحي معمر : الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الأولى، ص٦٣.
[12] ـ أبو العباس أحمد بن أبي عثمان الشماخي: السير، ج١، تحقيق: محمد حسن، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٨١، ١٨٣.
[13] ـ سورة آل عمران: الآية١١٠.

وغيرهم([١٤]).

وبالنظر في هذا العدد من التلاميذ دلالة على أن جابر بن زيد كان بحراً من العلوم يفيض بخيراته على طالبي العلم وهذا تأكيد على انتقاله من التعلم إلى التعليم حيث أنشأ جيلاً من الفقهاء تمتلئ بهم العين وتعتز بهم النفس، ولقد كان ثمرة تلك الصحبة الطويلة للصحابة أن أقبل عليه المئات من العلماء الذين وردوا معينه ونهلوا من بحره.

٣. مكانته العلمية ورأي معاصريه فيه: تبوأ الامام جابر بن زيد مكانة عالية بين الفقهاء وعلماء عصره فقد أهلته مكانته العلمية أن يكون أحد التابعين الذين تؤخذ عنهم الفتود وأصبح أحد فقهاء البصرة الذين يشار إليهم بالبنان، وشهد له جمع غفير من الصحابة والتابعين بغزارة العلم وبكفاءته للفتيا.

فقد شهد له شيخه عبد الله بن عباس الملقب بترجمان القرآن بكفاءته العلمية حيث قال عنه:((أسالوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه))([١٥])، وقال رضي الله عنه حين سأله أهل الناس من أهل البصرة عن مسألة ما فقال((كيف تسألونني وفيكم جابر))([١٦]).

وقال عنه أبو نعيم الأصفهاني: ((كان للعلم عيناً معيناً وفي العبادة ركناً ركيناً وكان إلى الحق آيباً ومن الخلق هارباً))([١٧]).

كما أثنى عليه أبو العباس الدرجيني حيث قال: ((ومنهم أي الأصحاب رضوان الله عنهم جابر بن زيد بحر العلوم العجاج وسراج التقوى ناهيك به من سراج أصل المذهب وأسه الذي قام عليه نظامه، ومنار الدين ومن انتصب به أعلامه، صاحب ابن عباس وكان أمهر من صحبه وقرأ عليه والمقدم ممن يشار في الفتيا إليه))([١٨]).

ومن أجل ذلك قصده السائلون من البصرة وخارجها، ورغم أن الإمام جابر كان كثير الفتيا إلا أنه لم يكن يفتي إلا بعد تثبت ويقين معتمداً على الكتاب والسنة سائراً في ذلك على

---

[١٤] ـ صالح بن أحمد بن يوسف البوسعيدي: رواية الحديث عند الإباضية ، أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٨٩.

[١٥] ـ الشماخي: السير، ج١، ص١٨٢.

[١٦] ـ الدرجيني: طبقات المشائخ، ج٢، ص٢٠٥.

[١٧] ـ أبي نعيم أحمد الاصفهاني: حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج٣، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٨٥.

[١٨] ـ الدرجيني: طبقات المشائخ، ج٢، ص٢٠٩.

نهج العلماء وآخذاً بوصية عبد الله بن عمر.

وبناءً على الشهادات المتقدمة التي شهد بها أكابر الصحابة والتابعين، عدّه علماء الجرح والتعديل من أبرز علماء القرن الأول الهجري وأكثرهم تفقهاً([١٩]).

أضف إلى ذلك أن جابراً كان من أوائل التابعين الذين عنوا بتدوين الأحاديث والسنن فقد أحتل مكانة مرموقة بين أقرانه فيكون بذلك جابر قد سبق أئمة المذاهب الأربعة(الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي) فكل هؤلاء جاءوا بعد جابر بن زيد فروى عنه أكثر أهل المذهب ، ووثقه جميع نقاد الحديث وأجمعوا على عدالته وضبطه وأمانته واعتبره أهل الحديث من المحدثين الثقات ومن الفقهاء البارزين اعتبروه من رجال أصح الأسانيد([٢٠]) لكونه أقدم الأئمة إذ ألأخذ علمه من مصادره الصافية، فمصدره الكتاب والسنة الصحيحة التي رواها الثقات. ويعتبر سند الإمام جابر بن زيد عن طريق الربيع بن حبيب في الذروة العليا من مراتب الإسناد عند علماء الإباضية حيث أكثر روايته عن شيخه عبد الله بن عباس لكثرة ملازمته له([٢١]).

كذلك يعتبر جابر بن زيد عالماً بالتفسير فقد احتل مكانة سامية بين علماء الاسلام العارفين بالقرآن فقد احتج بأقواله مجموعة من المفسرين، وأشادوا بآرائه في هذا المجال، ومنهم السيوطي الذي قال: " كان جابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن"([٢٢])، وقال ابن حجر " إنه من أعلم الناس بكتاب الله"([٢٣])، ورواية جابر بن زيد لا تكون إلا عن ابن عباس، أما في الحديث، فقد وثقه جميع النقاد وأجمعوا على عدالته وضبطه.

من الشهادات المتقدمة يتبين لنا بوضوح أن جابراً قد أكتسب علماً واسعاً، وأنه أصبح من أكابر العلماء في عصره، ولاسيما في علوم الشريعة الاسلامية، وكان يعتبر من أبرز المفتين في البصرة، ومما ساعد جابر في الوصول إلى هذه المكانة المرموقة إنصرافه الكلي إلى العلم وانحرافه عن مباهج الدنيا وزخارفها، وقد آثرت عنه في سلوكه آثار تدعو إلى الاكبار والتقدير.

---

[١٩] - البخاري : التاريخ الكبير، ج٢، ص٢٠٤. سامي سقر أبو داود الامام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية - دراسة تاريخية - رسالة ماجستير في هيئة كتاب، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، الأردن ، اشراف : فاروق عمر فوزي. ، ص٧٧

[٢٠] حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان،ط٢، ج٣، ص٢٦١.

[٢١] سالم بن حمود السيابي: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تحقيق: سيدة اسماعيل كاشف، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٩م ،ص١٥.

٢٢ - يحي محمد البكوش: فقه الامام جابر، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٦م، ص٣٧.

٢٣ - شهاب الدين أبو الفضل بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٢، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ط، د. ت، ص ٣٤.

٤. **آثاره العلمية:** يعتبر الإمام جابر بن زيد من أوائل المؤلفين في عهد التابعين، فقد ألف موسوعته القيمة التي عرفت باسم (ديوان جابر) وذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري([٢٤]).

ويقال أن الديوان من ضخامته يعجز عن حمله البعير ويقع في عشرة أجزاء كبيرة، ومن المحتمل أن السبب في ضخامة هذا الديوان كما وصفته المصادر هو احتواؤه على مسائل فقهية وأحاديث مأخوذة من الصحابة مباشرة.

كذلك للإمام جابر بن زيد آثار أخرى غير الديوان منها: مجموعة مسائل فقهية للإمام جابر ، وكتاب الصلاة: وهو رواية حبيب بن أبي حبيب عن عمرو بن هرم عن جابر بن زيد، **وكتاب النكاح:** ذكر فيه مجموعة فتاوى خاصة بالزواج في فترة مبكرة من تاريخ الاسلام للإمام جابر بن زيد([٢٥])، وهذا الكتاب دليل على ما شهد عليه شيخه ابن عباس كما أشرنا سابقاً من أن جابر ابن زيد أعلم الناس بالطلاق.

وبذلك أصبحت آثار الإمام جابر بن زيد منهلاً لطلاب العلم في مختلف الآفاق فيأخذون منها مسائل كثيرة، وكذلك فتاويه المتداولة في بطون الكتب تعتبر من أعظم ما تركه لخدمة الاسلام. إذ توجد مسائل وفتاوى احتوتها كتب الإباضية رواها **جابر لطلابه منها:**

مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي: وهو عبارة عن أحاديث صحيحة رواها الربيع بن حبيب عن أبي عبيدة وضمام بن السائب عن جابر بن زيد عن الصحابة عن الرسول . صلي الله عليه وسلم . إضافة إلى الفتاوى عن جابر أو عن بعض الصحابة. وأيضاً فقه الإمام جابر بن زيد جمعه يحي بن محمد البكوش: تضمن فتاوى للإمام جابر بن زيد.

وجوابات الامام جابر بن زيد: عبارة عن رسالتين احتوت فتاوى وآراء للإمام جابر بن زيد غير مرتبة رواها أبو صفرة عبد الملك بن أبي صفرة عن الربيع بن حبيب عن ضمام بن السائب عن جابر بن زيد فعمد سعيد بن خلف الخروصي إلى دمج الرسالتين ورتبها وضم كل مسألة في باب على حدة فجاء الكتاب يجمع آراء وفتاوى جابر بن زيد في الصلاة والطهارة والزكاة والنكاح والبيوع والآداب والوصايا والشهادات وغيرها من الآراء.

---

[٢٤] ـ سالم بن حمود: السيابي أصدق المناهج في تمييز الإباضية عن الخوارج، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٧٩م، ص٥٩.

[٢٥] ـ عبد الله محمود شحاته: الامام جابر بن زيد ومواقفه الفقهية، دار غريب ، مكتبة الاسكندرية، د.ط ، ٢٠٠-م، ص٣٠.

وقد حفظ التاريـخ سبع عشرة رسالة ([٢٦]) كان جابر يبعثها إلى الدعاة الذين أرسلهم إلى الامصار الإسلامية فقد جاءت الرسائل رداً على استفساراتهم لمسائل فقهية لم يستطيعوا الافتاء بها.

المبحث الثاني: دور الامام جابر بن زيد في وضع أسس الفكر الاباضي سياسياً وعقائدياً.

١. **التنظيمات السياسية:** سبق وأن ذكرنا بوضوح أن جابراً بن زيد قد اكتسب علماً غزيراً بعد هجرته إلى البصرة، وأصبح من الفقهاء البارزين الذين أسدوا خدمات جليلة للعقيدة والفكر الاسلاميين، ولاشك أنه وظف علمه ومواهبه في خدمة مبادئه التي آمن بها واقتنع بصحتها. ولكي نفهم جهود جابر بن زيد في بلورة المذهب الإباضي وتطوره لابد لنا من التعرف على بدء علاقة جابر بن زيد بحركة الخوارج القعدة ثم جهوده المتواصلة في سبيل انجاح الدعوة الاباضية بعد أن أصبح رئيسها وزعيمها.

الامام جابر وصلته بالقعدة: لم يُعرف على وجه التحديد متى بدأت علاقة جابر بن زيد بالخوارج القعدة على الرغم من أن المعلومات التي توردها المصادر الإباضية تشير إلى قدم هذه العلاقة وإلى أن جابراً قد أنضم إلى الحركة في وقت مبكر.

ولكن حسب المعطيات التاريخية والاستنتاجات المعتمدة على بعض الاحداث التي وقعت في حياة جابر، يُحتمل أن يكون اتصاله بالقعدة بدأ بعد لجوء مرداس بن أدية التميمي([٢٧]) وأصحابه إلى البصرة في أواخر العقد الرابع من القرن الأول الهجري، وبالتحديد (٥٦ . ٦٤)، وكان عمره إذ ذاك حوالي ثلاثاً وثلاثين سنة، فقد ذُكرأنّ جابر بن زيد يصلي الجمعة في المسجد الجامع في البصرة خلف زياد، وعندما كان يسأله أصحابه عن ذلك كان يجيبهم ((صلاة جامعة وسنة متبعة))([٢٨]).

أما ما يورده بعض مؤرخي الإباضية المحدثين من أن جابر بن زيد كان زعيم الحركة بعد وفاة عبد الله بن وهب الراسبي مباشرة فيصعب تصديقه، لأن جابرا آنذاك كان لا يزال

---

[٢٦] ، يقال أن عمرو بن خليفة النامي عثر عليها في جزيرة جربة وطبعها على ألة كاتبة وموجودة نسخة منها في المكتبة الإسلامية التابعة لوزارة التراث بسلطنة عُمان.

[٢٧] عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية ، ص٩١، الصوافي: الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة، ص١٦٢ ـ ١٦٣.

[٢٨] ـ ،سالم بن حمد الحارثي: العقود الفضية في الأصول الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٣ م. ص٩٧.

شاباً صغيرا يتراوح عمره بين السادسة عشر والعشرين سنة فقط. وفي هذه الفترة مزال جابر بن زيد في فترة التكوين العلمي والفكري، ولم يكن قد أشتهر أمره بعد...

وهناك وقعتان تؤكدان انضمام جابر إلى جماعة القعدة منذ ذلك الوقت مع حرصه في ذات الوقت على اخفاء أمره، وإخفاءه عن ولاة الأمر من الأمويين:

الوقعة الأولى: تردد جابر بن زيد إلى مكة ليلتقي بابن العباس ليأخذ عنه العلم والحديث وكان يصحبه فقاس بن الأسود بن قيس وكان يرى رأي الإباضية، ويبدو أن الرجلين كانا يرتحلان سويا إلى مكة في موسم الحج، وكانا يلتقيان بابن عباس، وفي احد السنين قدم جابر منفرداً إلى مكة فلقى ابن عباس الذي استغرب غياب ابي فقاس، صاحب جابر، وسأل جابراً عنه فأخبره بأنه في سجن ابن زياد فقال ابن عباس: ((وأنه لمتهم؟ قال جابر: نعم فأضاف ابن عباس اللهم بلي وخاطب جابراً وقال : أو ما أنت متهم؟ قال جابر: اللهم بلى))([٢٩]).

الوقعة الثانية: يرويها أبو سفيان محبوب بن الرحيل إذ يذكر أن شيخاً من أهل الاستقامة يدعى أبو سفيان قنبر قد أخذه عبد الله بن زياد وجلده ليدله على أحد المسلمين فلم يفعل، قال جابر بن زيد: وكنت قريباً منه وما كنت أنظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله ([٣٠]).

بناءً على ما تقدم يمكن القول أن علاقة جابر بن زيد بالإباضية بدأت بتأثر جابر بن زيد بآراء ابن وهب الراسبي ثم انضمامه للجماعة أثناء استقرار الجماعة في البصرة فيما اعقب واقعة النهروان من أحداث. كما تقرر أن جابراً لم يكن مما استحلوا الخروج بالسيف أو استعراض جماعة المسلمين بحال من الأحوال.. وإنه بذلك لم يكن من الخوارج في فترة من فترات حياته على الاطلاق.

إحكام التنظيم الاباضي على يد الامام جابر بن زيد في مرحلة الكتمان:

نهج الامام جابر بن زيد منهجاً معيناً في عهد الدولة الأموية، وهو استخدامه أسلوب السرية والكتمان، من أجل الحفاظ على دعوته وعدم انكشاف أمرهم. ومن أمثلة الكتمان

[29] ـ عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص٩١.
[30] ـ الصوافي: الامام جابر بن زيد، ص١٩٣.

في تلك الفترة هي: أن الامام جابر بن زيد كان شديد السرية مع اتباعه الدعاة ففي أغلب رسائله لدعاته، ينهيها بطلب من المرسل إليه باحراقها حتى لا تقع في أيدي السلطة الأموية.

وقد قام الإمام جابر بن زيد بتنظيم حركته، بواسطة حلقة منظمة من الدعاة اللذين أرسلهم إلى الامصار المختلفة وربطهم بمركزه في البصرة، حيث غدت الدعوة الاباضية حركة منظمة لها مركز وفروع، وهي بذلك تشبه التنظيم السري للدعوة العباسية التي كان يعتمد على الدعاة وبثهم في الاقاليم الاسلامية المختلفة مع ارتباطهم بمركز الامام في الحميمة([٣١]).

كما أنشأ جابر بن زيد قاعدة واسعة من الاتباع الذين اقتنعوا بآرائه ومبادئه، وتوسعت دائرتهم لتشمل أفرادا من خارج البصرة وخاصة من قبيلة الأزد، قبيلة الامام جابر، الذين كانوا منتشرين في البصرة وعُمان. وكان جابر يعمد إلى إرسال من يثق بهم إلى مختلف الامصار لنشر فكرته في هدوء، ويعقد معهم اتصالات، وبينهم مراسلات حُفظت في بعض كتب التاريـخ([٣٢]).

أما الاحداث السياسية التي وقعت في تلك الفترة من التاريـخ الاسلامي، فلم يشترك فيها جابر بن زيد ولم يبد لعامة سكان البصرة أن جابراً كان إماما وزعيماً للقعدة أو حتى أنه كان على علاقة بهم، وذلك لإخفاء معتقده وساعده أصحابه على ذلك، لأنهم كانوا يحبون ستره من الحرب والهلاك حتى لا يقضى على دعوتهم في مهدها والتي ترمي في النهاية إلى تأسيس إمامة علنية يعين فيها خليفة للمسلمين.

وقد اتخذ جابر بن زيد أيضاً أسلوب التقية في مرحلة الكتمان حتى لا يتعرض من قبل الأمويين لما يؤذيه ويبيد اتباعه، فأخذ هو وأصحابه يبثون فكرهم ويقنعون الناس بهذا الفكر وإن كان تقبل الناس لهذا الفكر عسيراً في ذلك الوقت مع إغراق بني أمية البلاد بالفساد، ومحاولة اجتذاب الناس إليهم بما كانوا يلتقطونه مما يتساقط من فتات موائدهم ، ولكن مع ذلك اقنع من اقتنع بهذا الفكر. فإذا رأي الامام جابر أن فئة من

[٣١] ـ سامي سقر أبو داود: الامام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ـ دراسة تاريخية ـ رسالة ماجستير في هيئة كتاب، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، الأردن ، اشراف : فاروق عمر فوزي،
[٣٢] ـ الصوافي : الامام جابر بن زيد،١ص١١٣.

الناس اقتنعت بفكره دعاهم إلى مذهبه في سرية تامة حتى لا تبطش به السلطة الأموية الجائرة، لأن الامام جابراً كان يرى رأياً مخالفاً لرأي الدولة الأموية. فكان لابد للذي يريد إحداث التغير وإعادة النظر إلى نصابه على طراز عهد النبوة والخلافة الراشدة الأولى أن يتحلى بالصبر مع العمل الحثيث من وراء الستار، وهكذا كان الامام جابر بن زيد([٣٣]).

ومزيداً من المبالغة في الكتمان عمل الامام جابر على أن يوطد علاقته بالحجاج وراح يتردد عليه، حتى بعد أن انتقل إلى مدينة واسط، وكذا توطدت علاقة الامام جابر بيزيد بن أبي مسلم (كاتب الحجاج)، وما يفسر هذه العلاقة هو أنها محاولة تجنب الاصطدام مع السلطة، مما قد يضر بالدعوة التي اختارها جابر بهدف بعث العقيدة الاسلامية وفقاً لأصولها الصحيحة.

وقد لجأ الامام جابر إلى إعداد الدعاة وإرسالهم إلى الامصار الاسلامية، حيث كان وثيق الصلة باتباع دعوته في الولايات المختلفة، ونجح في استمالة الكثير من الأزد و المهالبة، وتشير المصادر الاباضية إلى مراسلات متبادلة بينه وبين عبد الملك بن المهلب في خرسان([٣٤]).

لقد كان النجاح الحقيقي في مقدرة الامام جابر على الكتمان والحرص على أن تتم دعوته بعيداً عن أعين الأمويين، وقد استطاع بهذه السياسة أن يتجنب بطش الولاة به وبأصحابه، وبالغ في التخفي لدرجة أنه دفع بعبد الله بن إباض لكي يكون المتحدث باسم الجماعة حتى لقد اعتقد الكثيرون أنه المؤسس الحقيقي، مع أنه لم يكن الا أحد أفراد الجماعة النابهين([٣٥]).

واللافت للنظر أن معظم المبادي التي استقرت في الفكر الإباضي، والتي قال بها الامام جابر قد استمدت من الممارسة العملية التي شكلت في مجملها مصدراً أساسياً من مصادر التشريـع.

ولهذا ظلت صلة الامام جابر وثيقة بجماعة الدعوة ويسعى جاهداً للحفاظ على سرية الحركة وإخفاء مبادئها ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة التي انتهجها جابر واتباعه فإن

[٣٣] ـ زيانة بنت خلفان الحارثية: الامام جابر بن زيد وتأسيه الفكر الاباضي، مكتبة الجيل الواعظ، سلطنة عمان، ط٢، ٢٠١٢م، ص١٣٢.
[٣٤] ـ عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية، ص٩٨.
[٣٥] ـ محمد صابر عرب: الدين والدولة في الفكر الإباضي، دار الشروق، د.ط، د.ت، ص٦٦.

السلطة الاموية لم تستطع أن تضع يدها على أي مجلس من مجالسهم السرية ومما يؤيد ذلك ابتكارهم طرق جديدة في التنكر والتستر التي تؤكد كتمانهم لدعوتهم والتخفي عن الدولة الاموية حيث كانوا يأتون المجالس أيام زياد بن أبيه وابنه عبد الله في هيئة النساء بالنقاب وغير ذلك يشتبهون بالنساء وكان أحدهم يحمل على ظهره جرة ماء ويحمل حملة متاع كأنه بياع حتى يدخل المجلس([٣٦]).

وقامت سياسة جابر على اللجوء إلى جميع الوسائل لضمان حركته وسلامة اتباعه حتى أنه ذهب إلى حد الأمر بقتل شخص يدعى خردلة أبلغ السلطان الأموي عن أسماء أفراد الحركة الاباضية في البصرة وجعل يطعن فيهم ويدل على عوراتهم ويفضح اسرارهم مما أدى الى قتل بعض اتباع الحركة على يد أيدي السلطة([٣٧]).

وهكذا كان جابر بن زيد وثيق الصلة بالحركة منذ وقت مبكر وأصبح زعيمها وإمامها وكان له دور كبير في تنظيم الحركة وتطورها وتأسيس النظام السري في الدعوة الاباضية في البصرة في العقد السادس من القرن الأول الهجري([٣٨]).

٢. التنظيمات الدعوية: تنظيمه للدعوة وأثره فيها: استطاع الامام جابر بحنكته السياسية وعلمه الواسع في مرحلة الكتمان أن يُخّرج رجالاً يعّول عليهم في القيام بمهام وشؤون الدعوة في حياته وبعدها، فقام بجهود مضنية من أجل توسيع نطاق دعوته على امتداد واسع ولزيادة أتباعه ومناصريه داخل البصرة وخارجها، ففي البداية تمكن من بناء قيادة دعوية داخل البصرة وذلك بالاعتناء بمجموعة من تلاميذه الذين تميزوا بالمنزلة العلمية المرموقة في الجانب العلمي، وبالذكاء والقدرة على التنظيم والإدارة في الجانب السياسي، وهؤلاء هم على سبيل المثال لا الحصر : أبي مسلم بن أبي كريمة، وأبي نوح صالح الدهان، وضمام بن السائب، وأبي مودود حاجب الطائي وغيرهم([٣٩]).

حيث اهتم الامام جابر بتثقيفهم علمياً وإدارياً وسياسياً حتى يكونوا زعماء وفقهاء للدعوة من بعده في البصرة، فكانوا يساعدونه في إدارة شؤون الدعوة نظراً لمسؤوليات الحركة

---

[36] ـ مهدي طالب هاشم: الحركة الاباضية في المشرق، رسالة ماجستير في هيئة كتاب، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٧، ط:١، ١٩٨١م، ص٧٢.

[37] ـ عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، تحقيق مصطفى صالح باجو وآخرون، دار العرب الإسلامي، الجزائر، د. ط، ٢٠٠١م، ص٨٦.

[38] ـ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية، ص٩٥.

[39] ـ الشماخي : السير، ج١، ص١٩٦ ـ ٢٠٤.

الكثيرة، حيث قام الامام جابر بتشكيل مجلس شورى يضم هذه النخبة من اتباعه فكان يستشيرهم في مختلف المسائل التي تطرح عليه في أمور الدعوة وتنظيمها سواء كان داخل البصرة أو خارجها.

كما كان يسند إليهم بعض الامور فلو حدثت مشكلة في أي مكان يرسل أحدهم ليحلها، حتى يلاحظ على ما أعدهم بأنهم على كد فتحمل المسؤولية فالخبرة التي اكتسبوها من إمامهم جابر جعلتهم قادرين على الامساك بزمام وشؤون الدعوة بسهولة ويسر بعد وفاة جابر بن زيد([٤٠]).

فالإمام جابر كان يدرك أهمية وجود نخبة من اتباعه قادرة على الإفتاء في المسائل الفقهية وذات كفاءة على الادارة التنظيمية تعينه على نشر الدعوة وتحافظ على التنظيم في البصرة والامصار المختلفة، إذ كان يهيئهم ويؤهلهم للمراحل القادمة، فقد وجد منهم العلماء والقياديون وأصبحت لهم مؤلفات خاصة بهم فيما بعد إذ أنهم اشتهروا بالعلم أكثر من الدعوة([٤١]).

يتضح من ذلك أن جابر كان يهيئ الخليفة من بعده بأن يكون من أهل العلم الذين كانوا معه في البصرة، فقد تفوق أحد أتباعه وتولى زعامة الحركة بعد وفاة جابر بن زيد وذلك نظراً لكثرة ملازمته شيخه جابراً وهو تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي واصل تنظيم الدعوة بجدارة.

كذلك لم يقتصر الامام جابر على تنظيم الدعوة داخل البصرة بل توجهت أنظاره إلى مناطق أخرى بعيدة، فكان من ذلك الدعاة الذين أرسلهم الامام جابر إلى خارج البصرة حتى تنشر مبادي الدعوة التي تعتمد على القرآن والسنة كمصدر لها فيزداد عدد المؤيدين. وكان جابر دائم الاتصال بدعاته حيث ربطهم بمركز الدعوة بالبصرة وذلك عن طريق الرسائل المتواصلة مع دعاته ليطمئن عليهم ويعرف احتياجاتهم وموافاته بأخبارهم ما صغر منها وما كبر من أحداث تجرى في بلدانهم حيث كان يقول لأحدهم: ((أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك وحسن بلاء الله لديك في الأمور كلها))([٤٢]).

---

[٤٠] ، عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية، ص٩٨، ٩٩.
[٤١] ـ زيانة بنت خلفان الحارثية: الامام جابر ، ص١٤٢.
[٤٢] ـ جابر بن زيد: رسائل الامام جابر بن زيد، دراسة وتحقيق : فرحات الجعبيري، رسالة رقم ٦.

يبدو أن متابعة الامام جابر لدعاته وارشادهم يعطيهم حافزاً للمواصلة في نشر الدعوة. وكان إذا حصلت مشاكل بين الدعاة يطلب منهم حلها بأنفسهم لآنه رباهم دينياً وروحياً وهذا يؤكد على أن دعاته لديهم القدرة على حل المشاكل لأن كثرة التشاجر عند جابر بن زيد مهلكة للجميع حيث يقول: ((فإن التنازع والتشاجر هلاك لأمركم))([٤٣]).

كان جابر بن زيد يستخدم في رسائله إلى دعاته كلمة (أهلك) وقد يقصد بها كلمة السر المستخدمة لمعنى ((الجماعة الذين في البصرة)) حتى لا ينكشف أمرهم لأنه لو قال اتباعكم، لربما تعرض للهلاك ولكن للسرية التامة استخدم مدلول (أهلك) لمعنى الجماعة. مثل قوله: ((فأنا بخير وعافية من الله إن شكرناه واتقينا، وأهلك من يشفق عليك كالذي تحب))([٤٤]).

ومن وسائل جابر في نشر دعوته للفكر الاباضي كان يحج كل عام لتأدية العبادة بأداء شعيرة الحج، وللالتقاء باتباعه اللذين يأتون من مختلف الامصار لمعرفة اخبارهم وما يعترضهم من مشاكل ومحاولة حلها، ومن أجل إرشاد المسلمين في الحج إلى الافعال الصحيحة.

أيضاً وجه جابر قسماً من جهوده لا قناع قبيلة الأزد الذين في البصرة للانضمام إلى حركته ولانتماء جابر إلى هذه القبيلة نحج في ذلك وتبعه عدد كبير من الأزد وعلى رأسهم بعض آل المهلب زعيمة أهل العراق حيث استطاعوا بدهائهم ونفوذهم أن يتسللوا إلى أجهزة الحكم الأموي([٤٥]). كعبد الملك بن المهلب، وعاتكة وهند بنات المهلب. واهتمام جابر بهذه القبيلة دليل على أن عُمان تنتمي إلى الأزد في الاكثر والأزد على علاقة متصلة فيما بينها سواء في البصرة أو غيرها من النواحي فكان لابد أن تُستغل هذه العلاقة. إضافة إلى أن هذه القبيلة لها جذور تاريخية ولها أحداث مهمة ولها شخصيات بارزة، فانضمام آل المهلب إلى الدعوة سيساعد جابراً على التستر والحماية من الحكام والولاة الامويين.

وهكذا ظل أسلوب جابر بن زيد في الدعوة إلى أن تفطن به الحَجّاج، وانقلب على المهلب، فانكشف أمر جابر وزج به الحَجّاج إلى السجن، ثم نفاه إلى عُمان وما علم

---

[٤٣] ـ جابر بن زيد: المصدر نفسه، رسالة رقم ١٠.
[٤٤] ـ جابر بن زيد : المصدر نفسه، رسالة رقم ٩.
[٤٥] ـ محمد ناصر: منهج الدعوة عند الاباضية ، دار ناصر، ط٥، ٢٠١٣م، ص١١٥.

الحَجّاج أن نفي جابر إلى عُمان سيكون كله خير وبركة لأنه أعاد البذرة إلى تربتها الصالحة، حيث المناخ الملائم لترعرعها بين ذويها وأهلها. ومن عُمان امتدت مخططات جابر لتشمل كل الامصار الإسلامية.

وعلى ذلك فإن المذهب الاباضي نشأ نشأة عُمانية حقاً، إذ أسسه فقيه من أزد عُمان سكن البصرة وهو جابر بن زيد الأزدي، وانظم إليه معظم أزد البصرة بحكم العلاقة القبلية من ناحية، واقتناعاً بما كان ينادي به جابر من ناحية أخرى، كما اعتنق معظم أزد عُمان هذه الدعوة على يد جابر وعلى أيدي الدعاة الذين أرسلهم خليفته من بعد، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وكانوا كلهم من عُمان، وذلك تحقيقاً لهدف كان العُمانيون يتوخونه من وراء هذه الدعوة، وهو الاستقلال بشئون بلادهم عن بني أمية وبني العباس.

الامام جابر بن زيد وتنظيم النساء في الدعوة: تميزت دعوة الامام جابر بن زيد بالاهتمام بالمرأة، وإعطائها دوراً فعالاً في نشاطات الحركة الاباضية، وكان من رؤساء الحركات السياسية القلائل الذين جعلوا للمرأة دوراً هاماً في تنظيماتهم، غمن المحتمل أن يكون الامام جابر بن زيد قد أوجد خلايا خاصة بالنساء أشرف عليها بنفسه حيث تقول هند بنت المهلب . وهي إباضية . : ((إن جابر بن زيد كان أشد الناس انقطاعاً إلي وإلى أمي، فما أعلم شيئاً كان يقربني إلى الله إلا أمرني به، ولا شيئاً يباعدني عن الله ’لا نهاني عنه))([٤٦]).

كما أولى جابر بن زيد نساء أهل الدعوة اهتماماً بالغاً وذلك من خلال مجالس العلم التي تعقد على هيئة دروس عن أمور الدين، وكانت النساء من خلال هذه الدروس تتفقه في أمور دينها مما ساهم في انضمام الكثير من النساء المهلبيات إلى الحركة فكان لهن دور متميز كرجالهم، فقدمن جهوداً لنصرة الدعوة فكان منهن من يتخذ بيوتهن مقراً للعلماء، وطلبة العلم من أهل الدعوة يعقدون فيها الاجتماعات، وكانت الواحدة تنتهز الفرصة للتعلم والتفقه في أمور دينها لتعبد الله على بصيرة([٤٧]).

يظهر من ذلك أن الإمام جابر بن زيد قد جعل مسؤولية إدارة شؤون تنظيم النساء إلى إمرأة، وهو ما يتضح من الرواية التي تقول: ((لقى جابراً إمرأة من أهل الدعوة فوقف

---

[46] ـ عوض خليفات: نشأة الحركة الاباضية، ص٩٣.

[47] ـ بدرية بنت حمد الشقصية: السيرة الزكية للمرأة الإباضية، تقديم: الشيخ أحمد الخليلي، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٣.

ساعة يكلمها وتكلمه))([٤٨]).

فوقوف جابر بن زيد مع إمرأة من أهل الدعوة (الاباضية) لساعة من الزمن يعني أن لهذه المرأة شأناً في الحركة الاباضية، مما تطلب هذه المدة للحديث عنها، وقد بلغ الاخلاص والاحترام للإمام جابر بن زيد من نساء الدعوة مستوى من الشعور الجماعي، حيث كانن يرسلن له بالجزور([٤٩]) في شهر رمضان([٥٠]).

وبناءً على ما سبق يكون الامام جابر بن زيد قد وضع اللبنات الاولى لخلايا النساء في الحركة الاباضية، ولم يقتصر نشاط النساء الاباضيات على المشاركة في النشاطات الدعوية، كالاجتماعات التنظيمية فقط، بل تعداه إلى المشاركة في مختلف ميادين عمل الحركة الاباضية، كجمع المال للدعوة والمشاركة في المعارك([٥١]).

علاقة المذهب الاباضي بعبد الله بن إباض: يتضح مما قدمناه أنفاً أن الامام جابر بن زيد هو المؤسس للمذهب الاباضي حيث ركز نشاطه على مجال التربية والتكوين، فأثمرت جهوده العملية في إنشاء قاعدة واسعة من الاتباع الذين اقتنعوا بآرائه ومبادئه، وتوسعت دائرتهم لتشمل أفراداً من خارج البصرة وخاصة قبيلة الأزد الذين كانوا منتشرين في البصرة وعُمان.

والحقيقة إذا تتبعنا المصادر غير الاباضية تتبعاً دقيقاً لوجدنا أن أغلب هذه المصادر كالبغدادي([٥٢]) والشهرستاني([٥٣]) والاسفرايني([٥٤]) تذكر أن الاباضية ينتسبون إلى عبد الله بن إباض وإنه إمام المذهب.

ولكن هناك سؤال يفرض نفسه وهو: **مدام جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقي للمذهب الاباضي فلماذا سمي المذهب باسم عبد الله بن إباض؟ !!. وما العلاقة بين الاباضية مذهباً وعبد الله بن اباض؟ ولماذا لا نلاحظ آثاره العقائدية والفقهية في مؤلفات الاباضية؟**

---

[٤٨]- الدرجيني : طبقات المشايخ الكبرى، ج٢، ص٢٠٨، والشماخي: السير ، ج١، ص٧٢.
[٤٩] - هو كل ما يصلح أن ينحر من الابل وفي معنى الناقة أو الجمل.
[٥٠] - الشماخي: السير ، ج١،١٨٧.
[٥١] - الشماخي: المصدر نفسه، ص١٨٦، ١٨٧.
[٥٢] - عبد القادر البغداي: الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص٧٠.
[٥٣] - عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل ، ج١، مؤسسة الحلبي، مطبعة أبو سامي الحديثة، ص١٣٤.
[٥٤] - أبو مظفر الاسفرايني: التبصير في الدين، عالم الكتب ، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص٥٨.

نسب المذهب الاباضي إلى عبد الله بن إباض التميمي، وقد جاءت نسبة الاباضية إلى عبد الله بن إباض ولم ينتسبوا إلى جابر بن زيد لأن عبد الله بن إباض هو الذي جهر بمواقف سياسية واجه بها خلفاء بني أمية ولا سيما عبد الملك بن مروان ([٥٥]). وكان ابن إباض الواجهة العلنية للجماعة، وكان يجادل عنهم ويحاجج الأمويين، ويبين مواقف أصحابه من القضايا السياسية والفكرية المحتدمة آنذاك. فعُرف أصحابه بأنهم اتباع ابن إباض أو الاباضية بيد أنهم لم يرضوا بهذا الاسم أول الأمر ولكنهم أذعنوا للأمر الواقع بعد من الزمن، وكانوا يختارون لأنفسهم أهل الدعوة، أو أهل الاستقامة، أو جماعة المسلمين.

وبالتالي تتفق المصادر التاريخية اباضية وغير اباضية على نسبة الاباضية إلى عبد الله بن إباض، ولكنها تختلف في أهمية هذه النسبة علمياً وعملياً، ونظرياً وتطبيقياً.

ونجد هذا الاختلاف بين المؤرخين الاباضية أنفسهم، فالدرجيني يعتبره إمام أهل الطريق المؤسس لأبنية هي مستندات الأسلاف، والشماخي يقول بإمامة جابر بن زيد، ويعطي دوراً ثانوياً لعبد الله بن إباض، بل إنه يذهب إلى أن ابن إباض كان يصدر في تحركاته عن شيخه جابر بن زيد([٥٦]).

أما علاقة المذهب الاباضي بعبد الله ابن إباض فكانت في بروز عبد الله ابن إباض كزعيم سياسي، وبطل ميداني محنك ومناظر صلب، مما لفت إليه أنظار السلطة الأموية، فنسبوا المذهب إليه، وهذا يكون هذا من عمل الخوارج المتطرفين الذين اختلف معهم، ولا سيما بعد استعراضهم المسلمين بالسيف، والحكم عليهم بالشرك، فقد تميزت الفرق في تلك المرحلة بأسماء زعمائها، فكانت الازارقة نسبة إلى نافع بن الازرق، والنجدات نسبة إلى نجدة بن عامر النجفي، والصفرية إلى عبد الله بن الصفار، والاباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض لاسيما وانه كان جانبهم في الدفاع عن مكة سنة ٦٤ هـ .

كذلك كان خوف أهل الدعوة على إمامهم جابر بن زيد من أن تصل إليه يد الجبابرة من الأمويين ولكي يصرفوا الأنظار عنه، دفعوا إلى الواجهة أحد تلامذته القادرين على التحرك لا سيما وأن ابن إباض ينتمي إلى إحدى أهم قبائل البصرة جاها ونفوذاً مما يضمن له

[٥٥] - علي محمد الصلابي: الاباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ط١، ٢٠١٩م، ص١٩، نقلاً عن محمد الخواص: المدارس الفكرية الاسلامية، ص٥٢.
[٥٦] - الشماخي: السير، ج١، ص١٨٩.

الحماية من قبيلته، والدفاع عنه إذا تعرض لمكروه، على أن العلاقة بين عبد الله ابن إباض وجابر بن زيد أكدتها المصادر التاريخية.

ويتضح من ذلك أن ابن إباض لم يكن إلا شخصية مشهورة عبرت عن وجهة نظر المذهب الاباضي، فنسب المذهب إليه، لأن السلطة الأموية لم تعرف غيره من قادة المحكّمة المعتدلين([٥٧]). كذلك هو من أوضح الخطوط العريضة للفكر الاباضي مميزاً بينهم وبين الحركات الخارجية المتطرفة كالازارقة من الخوارج مثلاً. ونتيجة للمراسلات التي كان يرسلها عبد الله ابن إباض إلى عبد الملك بن مروان خُيل للسلطة الاموية أن عبد الله ابن إباض هو المؤسس للمذهب الاباضي الذي سمي باسمه([٥٨]).

المبحث الثالث : نهاية الإمام جابر بن زيد (نفيه ووفاته)

يبدو أن استخدام جابر بن زيد لطرق الاقناع والتأثير في الناس لقبول دعوته وانتشارها واقناعه آل المهلب في الانضمام إلى دعوته ونجاحه في ذلك أدى إلى تفطن الحجاج وانقلابه على آل المهلب، وكشف أمر جابر حتى زج به في السجن ثم نفاه إلى عُمان مع أحد مشائخ الدعوة المسمى ب(هبيرة).

ولا شك أن نفي جابر بن زيد إلى عُمان كان ذا نتيجتين: الأولى أنه حرم اتباع الحركة في البصرة من امامهم وزعيمهم فخلدوا إلى الدعة والهدوء. بينما بقى زعمائهم ومشائخهم في سجن الحجاج حتى مات الحجاج سنة ٩٥هـ . والثانية: أن الفرصة كانت مواتية لأن يقوم جابر بالدعوة إلى مذهبه في موطنه الاصلي عُمان، أي بين أهله وعشيرته الاقربين اللذين يعرف عادتهم وتقاليهم وكيفية التعامل معهم مستغلاً في ١ذلك كرههم للحجاج وحقدهم عليه لما حل بهم خلال ثورة أولاد الجلندي الذي أخمدها الحجاج.

هذا وقد أفاد من وجود جابر بن زيد مع بعض رفاقه في عُمان السرعة في انتشار المذهب الاباضي في ذلك القطر. حيث كانت جهوده مقدمة لنشاط حملة العلم الذين بعث بهم،

---

[٥٧] ـ مهدي طالب هاشم: الحركة الاباضية، ص٥٥.

[٥٨] ـ لمزيداً من التفاصيل حول نسبة المذهب الاباضي إلى عبد الله ابن إباض يراجع: محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الاباضية، ص١٢٣، مهدي طالب هاشم: الحركة الاباضية في المشرق العربي ص٥٥. وعلي الصلابي: الاباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ص١٩ وما بعدها. اث

فيما بعد خليفته أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي([٥٩]). ولا تشير الروايات إلى تاريـخ محدد لنفي جابر بن زيد إلى عُمان كما أنها لا تذكر المدة التي قضاه في منفاه، ولكنها تجمع على أنه عاد إلى البصرة ومات فيها.

أما تاريـخ وفاته فاضطربت حوله الروايات في بعض المصادر فيذكر بعض الرواة أنه توفي في نفس الاسبوع الذي توفي فيه أنس ابن مالك سنة ٩٣هـ وهذا الرواية رواها الامام ربيع بن حبيب الفراهيدي في مسنده. ويرى البعض الاخر أنه توفي سنه ٩٦هـ وقال بهذا التاريـخ ابن جعفر الازكوي وأيده في ذلك الشماخي وعلي يحي معمر([٦٠]).

ويبدوا حسب زعمنا أن الراي الاول هو الاصح لأنه جاء على ألسنة رواة الحديث الذين يهتمون إلى حد كبير بحياة كل محدث وتاريـخ وفاته. وكان جابر أحد هؤلاء المحدثين. أضف إلى ذلك أن جابراً استدعى في ليلة وفاته الحسن البصري الذي كان متخفياً عن الحجاج، إذ أن وفاة الحجاج كانت سنة ٩٥هـ ، وهذا دليل أخر على أن جابراً توفي قبل وفاة الحجاج، وخلفه في زعامة الدعوة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

الخاتمة:

اتضح مما تقدم في هذا البحث أن الامام جابر بن زيد ولد في عُمان، وارتحل في شبابه للبصرة طلباً للعم والاستقرار معاً وسعى جاهداً من أجل العلم، فظل متنقلاً بين البصرة والحجاز وشهد له شيوخه وعلماء وفقهاء عصره بالمكانة العلمية، واعتبرته المصادر غير الاباضية بأنه أهم علماء المسلمين في البصرة فكان في نظرتها حجة في أقواله وتفسيراته.

كما تبين الدور الذي قام به الامام جابر بن زيد من أجل نجاح دعوته، في سرية تامة بعيدة عن السلطة الاموية، بحيث لم يستطع أن تتعقبهم أو تضع يدها على هذه الحركة بسبب الدقة والحذر الشديد. وأن الطريق الذي سلكه هو واتباعه لم يكن سهلاً، يل كان طريقاً مليئاً بالعقبات والتحديات حتى استطاعوا أن يأسسوا هذا المذهب حيث كان هدفهم إقامة العدل والحق وليس مخالفة المذاهب والتيارات الاخرى.

---

[٥٩] ـ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: من أشهر حملة العلم الذين كان لهم الفضل في نشر المذهب الاباضي في عُمان وهو من الطبقة الثالثة. (الشماخي: السير، ج١، ص١٩٦.

[٦٠] ـ الشماخي: السير، ج١، ص١٨٨. وعلي يحي معمر : الاباضية في موكب التاريخ، ح١، مكتبة الضامري، ط٣، ٢٠٠٨م، ص١١٢.

وتبين أيضاً مدى دهاء وحنكة جابر السياسية في التعامل مع السلطة الاموية بمرونة واعتدال بعيداً عن التطرف، حيث ساعد ذلك على بقاء المذهب وانتشاره حتى اليوم، في حين اختفت جميع الفرق الخارجية الاخرى.

واوضح أيضاً مدى اهتمام جابر بن زيد بالجانب الدعوي فقد اعتنى بالدعاة داخل البصرة وخارجها، إضافة إلى جهوده في بناء التنظيم الاباضي، وإحكامه بوسائل متعددة كسياسة الكتمان التي رسخها في حركته حيث اصبحت أحد أنواع مسالك الدين عند الاباضية من بعده.

وختاماً لذلك يمكننا القول بأن الامام جابر بن زيد الأزدي هو مؤسس المذهب الاباضي ومنشئه خلافاً لما هو سائد عند المؤرخين القدامى والمحدثين، من أن عبد الله ابن إباض هو القائد المؤسس للمذهب الاباضي.

كما تبين أن الامام جابر بن زيد كان بالفعل هو الشخص الذي بلور الفكر الاباضي بحيث اصبح متميزاً عن غيره من المذاهب الاسلامية وكان ابن اباض المسئول عن الدعوة والدعاة في شتى الاقطار حيث اكتسب ثقة اقرانه لعلمه ودينه فكانوا لا يصدرون في شيء إلا بعد مشورته. وأن نسبة المذهب إلى عبد الله ابن إباض كان مردها إلى خلط بين المؤرخين وكُتاب الفرق، بين كون عبد الله ابن اباض أحد القادة الفعالين سياسياً في المحكمة وكون جابر مؤسس للمذهب الذي انظم إليه عبد الله ابن اباض، وكانت شهرة ابن اباض عند انقسام المحكمة هي السبب الذي أوهم بأنه صاحب حركة، رغم أنه بقى في البصرة بعد انقسام المحكمة ولم يرد له ذكر بعد ذلك.

References

1. Abu Abbas Ahmed bin Ali: Sir Al-Shamakhi, edited by: Muhammad Hassan, Part One, Dar Al-Madar Al-Islami, first edition, 2009 AD.

2. Abu Muzaffar Al-Asfarini: Insight into Religion, Alam Al-Kutub, Beirut, first edition, 1983 AD.

3. Abu Muzaffar Al-Asfarini: Insight into Religion, Alam Al-Kutub, Beirut, first edition, 1983 AD.

4. Abu Abbas Ahmed bin Saeed Al-Darjini: Classes of Sheikhs in Morocco, Part Two, edited by: Ibrahim Talali, without edition and date.

5. Abu Naim Ahmad Al-Isfahani: The Ornament of the Saints and the Classes of the Pure Ones, Part Three, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1988 AD.

6. Al-Bukhari: The Great History, Part Two, without edition and date.

7. Badriya bint Hamad Al-Shaqsia: The Pure Biography of an Ibadi Woman, presented by: Sheikh Ahmed Al-Khalili, first edition, 2000 AD.

8. Jaber bin Zaid: Letters of Imam Jaber bin Zaid, study and investigation: Farhat Al-Jaabiri, letter No. 6.

9. Zayana bint Khalfan Al-Harithiya: Imam Jaber bin Zaid and the idealization of Ibadi thought, Library of the Preaching Generation, Sultanate of Oman, second edition, 2012 AD.

10. Salem bin Hamad Al Harithi: Silver contracts in Ibadi origins, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 2009 AD.

11. Salem bin Hamoud Al-Siyabi: Removing the Moth from the Followers of Abu Al-Sha'tha', edited by: Sayyida Ismail Kashif, Ain Shams University, Cairo, 1979 AD.

12. Salem bin Hamoud: Al-Siyabi is the most accurate method in distinguishing Ibadis from Kharijites, edited by: Sayyida Ismail Kashif, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1979 AD.

13. Sami Saqr Abu Dawoud: Imam Jaber bin Zaid and his impact on intellectual and political life - a historical study - a master's thesis in book form, College of Arts and Sciences, Al al-Bayt University, Jordan, supervised by: Farouk Omar Fawzi.

14. Shihab al-Din Abu al-Fadl ibn Hajar al-Asqalani: Tahdheeb al-Tahdheeb, Part Two, Dar al-Kitab al-Islami, Cairo, without edition and date.

15. Saleh bin Ahmed Al-Sawafi: Jaber bin Zaid Al-Azdi Al-Omani and his impact on preaching, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, third edition, 1997 AD.

16. Saleh bin Ahmed bin Yusuf al-Busaidi: Narration of Hadith according to the Ibadis. The origin of this book is a master's thesis, Al al-Bayt University, first edition, 2000 AD.

17. Abdul Qadir Al-Baghdadi: The Difference Between the Differences, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, no edition and date.

18. Abdul Karim Al-Shahristani: Boredoms and Bees, Part One, Al-Halabi Foundation, Abu Sami Modern Press.

19. Abdullah Mahmoud Shehata: Imam Jaber bin Zaid and his jurisprudential positions, Dar Gharib, Alexandria Library, ed., 200-AD, p. 30.

20. Adoun Jahlan: Political Thought among the Ibadis, Al-Dhamiri Library, third edition, 2010 AD.

21. Ali Muhammad Al-Sallabi: Ibadiism is an Islamic school far from the Kharijites, first edition, 2019 AD.

22. Ali Yahya Muammar: Ibadis in the Procession of History, Part One, Al-Dhamiri Library, Third Edition, 2008 AD.

23. Amr Khalifa Al-Nami: Studies on Ibadi, edited by Mustafa Saleh Bajo and others, Dar Al-Arab Al-Islami, Algeria, without edition, 2001 AD.

24. Awad Khalifat: The Origins of the Ibadi Movement, first edition, Oman, 2002 AD.

25. Farouk Omar Fawzi: The Imamate in Amman, Al al-Bayt University, Amman, 1979 AD.

26. Muhammad bin Ismail Al-Bukhari: Al-Tarikh Al-Kabir, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut,

27. Muhammad Saber Arab: Religion and the State in Ibadi Thought, Dar Al-Shorouk, out of print, without a date.

28. Muhammad Saleh Nasser: The Ibadi approach to advocacy, Dar Nasser, fifth edition, 2013 AD.

29. Mahdi Talib Hashim: The Ibadi Movement in the East, Master's thesis in book form, University of Baghdad, College of Arts, 1977, first edition, 1981 AD.

30. Hani Suleiman Al-Taimat: Ibadi doctrine, not religion, Dar Al-Shorouk, first edition, 2003 AD.

31. Yahya Muhammad Al-Bakoush: The Jurisprudence of Imam Jaber, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1986 AD.